المجلس الرابع عشر

القصيدة:

الواثبينَ لِظُلمِ آل محمدٍ.

الموضوع:

الصبرُ على الفُراقِ.

المصيبة:

حزنُ السيّدة الزهراء (ع) على فَقْدِ أبيها (ص).

صـــلى الله عليـــك يـــا رســـول الله وعلـــــى آلـــــك المظلـــــومين
لاســيما ابنتــك وبضــعتك وروحــك المكســـورُ ضـــلعها المغصـــوبُ
حقّهـــا المســـقوطُ جنينهـــا فاطمـــة الزهـــراء عليهـــا الســـلام

آه آه

الواثـــــبينَ لظـــــلمِ آل مـــــحمدٍ ومـــــحمَّدٌ مُـــــلقى بِـــــلا تكـــــفينِ
والـقـــــائلينَ لفـــــاطمٍ آذيـــــتنا فـــــي طَـــــولِ نَـــــوحٍ دائـــــمٍ وحـــــنينِ
والـداخـــلين عـــلى البـــتولة بَـيتها والمُســـــقطين لهـــــا أعـــــزَّ جـــــنينِ
والقـــــائدينَ إمـــــامَهم بـــــنجادِه والطُـــــهرُ تَـــــدعو خَـــــلفَهُم بـــــرنينِ
خَـلّو ابنَ عمّي أو لاكـــشفَ للـــدُعا رأســـــي وأشكـــــو للإلـــــهِ شُـــــجّوني
مـــا كـــان نـاقـــةُ صـالـــحٍ وفـَصيلُها بـــــالفضلِ عـــــندَ الله إلاّ دونـــــي
ورّنـــت إلى القـــبرِ الشـــريف بِـمُقلةٍ عَـــــبْرى وقـــــلبٍ مكـــــمدٍ مـــــحزونِ
أبـتـــاهُ هـــذا الســـامري وعِـــجّلُه تُـــبِعا ومـــالَ النـــاسُ عـــن هـــارونِ
أيُّ الـرزايـــــا أتّـــقـــــي بـــــتجلُدي هـو فـي النوائـبِ مُـذ حَـــييتُ قَـــريني
فـقدي أبـي أم غَـصبُ بَـعلي حـــقُّه أم كســـرُ ضِـلعي أم سُـــقوطُ جـــنيني

(نعـــــــــي):

تْصِـــــيح يافضـــــة سَـــــنّديني وإلـــــى صـــــدْرِك ضُـــــمّيني
وربِّـــــي أســـــقطوا جنينـــــي فأســـــقطتْ بنـــــتُ الهـــــدى جنينُهـــــا

ذاك المُســـــــــمّى مُحْسِـــــــــنا

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُون}.
إن الله عزَّوَجل يؤكّد لنا أن كلَّ عِبادِهِ سوفَ يموتونَ ومن دونِ أيّ إستثناءٍ، فلا مفرَّ ولا مَهْرَبَ من تذوّقِ الموتِ والقبرِ، فكما يقولُ الشاعرُ:

المـوتُ كـأسٌ وكـلُ النـاسِ شـاربُهُ والقبـرُ بـابٌ وكـلُ النـاسِ داخِلُـه
فليتَ شِعْري بعدَ المَوتِ ما الدارُ

فالموتُ بعقيدتِنا الإسلامية هو الإنتقالُ من عالمِ الدُنيا إلى عالمِ الآخرة، ووصفَ أميرُ المؤمنينَ علي (ع) الدنيا: "الدنيا دارُ ممرٍ والآخرةُ دارُ مقرٍ."
وهذا يعني أن موتَ الإنسانِ لا يعني فناءَه، بل بفلسفةِ الموتِ ينتقلُ من دارٍ إلى دارٍ ويسافرُ منْ عالمِ الدُنيا الفانيةِ إلى عالمِ الآخرة الباقي، فعلينا أن نعملَ الصالحاتِ ونزرعَ الخيراتِ في مَمرّنا، لنَحصدَ الحسناتِ في مقرّنا،"فالدنيا ساعةٌ فاجْعلوها طاعةً."
وهنا يأتي معنى تذوّقِ الموتِ وإختلافِه من نفسٍ لأخرى، فخروجُ الروحِ من الجسدِ يكونُ حسبَ أعمالِ الإنسانِ في الدنيا، فمِنَ العدلِ أن يكونَ خروجُ الروحِ العاصيةِ لأمْرِ الله والعاملة بالمعاصي والمرتكبةِ للذنوبِ والمُخالفةِ لطاعتِه وخاصةً مَنْ تركَ الصلاةِ الواجبة، وأهملَ صِيامَه، ونَسِيَ حَجَّهُ، وخَلعَت المرأةُ حِجابَها عن رَأسِها، ولَبِسَت الثيابَ السافرة، وتبرّجت وتزيّنت لغيرِ زَوجِها،

واستمعت الغناءَ وشاركت بالغيبةِ والمحرمات، وشَربت الخمرَ وتناولت المُخدرات، وأفسدت في الأرضِ، وظَلمت وآذت الناسَ باليدِ واللِّسانِ وفتنت بينهم وقطعت صِلَة رَحِمها. كلّ هذهِ المعاصي والذنوبِ سوفَ يتذوّقُها الإنسانُ بالعذابِ الذي لا يمكنُ وصفُه عندَ خروجِ روحِه ونزولِها في القبرِ، الذي يُنادي:
"أنا بيتُ الوحشة... أنا بيتُ الظُلمة...
أنا بيتُ الوحدة ... أنا بيتُ التُراب...
أنا بيتُ الدود... أنا بيتُ العقارب والأفاعي...
أنا روضةٌ من رياضِ الجنةِ للمؤمن المطيع، أو حفرةٌ من حفر النيرانِ للعاصي."

فمِن هُنا حقاً يَمتازُ المُؤمنُ عن الفاسقِ، والمُطيعُ عن العاصي، وعندَ الموتِ يُكرَّمُ الإنسانُ أو يعذّبُ ويُهان.
فالمؤمنُ حقاً هو المُطيعُ للهِ وصاحبُ الأخلاقِ الحميدة، والمُعاملةِ الحسنة، والمصلّي والصائمُ والحاجُّ والقارئُ للقرآن، والمُصلحُ بين الناس، والذي يأكُلُ من المالِ الحلالِ ويعملُ الصالحاتِ لا يخافُ من الموتِ أبداً ولا يخشاهُ بلْ يُسْتبْشِرُ بهِ، لأنّ الموتَ للمُؤمِنِ يعني انتقالاً إلى رحمةِ الله والفوزاً بلقائِهِ.
فَموتُ المُؤمنِ راحةٌ لَه من الدُنيا وهَمِّها وغَمِّها، فالمؤمنُ المُطيعُ لربِّه يَعشقُ الموتَ وينتظرُه ويستأنسُ بِه كما قال الإمام علي (ع) أنّه يستأنسُ بالموت كما يستأنسُ الطِفلُ بصَدرِ أُمِّه، لأنَّه حصادُ الأعمالِ الصالحة، وفيه نَيلٌ للدرجاتِ العُليا، وفوزُه بدُخولِه "الجنّة التي فيها ما لا عَيْنٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على

قَلْبِ بَشر"، وتُناديهِ الملائِكَةُ وتُرَحِّبُ بهِ: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي}.

ولكن تبقى لوعَةُ فِراقِ الأحبّةِ والحُزنُ على ابتعادِهم عنَّا وهذا شعورٌ نفسيٌ، فالرسولُ الكريم (ص) بكى وحزِنَ على فراقِ إبْنِه إبراهيم وقال: "إنّ العينَ لتَدْمعُ، وإن القلْبَ ليحْزنُ ولا نقولُ إلاَّ ما يُرْضي ربّنا"، وكذلكَ سيّدةُ نساءِ العالمينَ فاطمةُ الزهراءِ (ع) حزِنَت حُزْناً كبيراً وبَكتْ بُكاءً شَديداً على وفاةِ أبيها رسولِ الله وعندما دُفِنَ وأُهيلَ عليه الترابَ مع أنَّهُ رسولُ اللهِ وحبيبُه، وشفيعُ أُمَّتِهِ، وهو في أعلى درجاتِ الجنَّة، و لم تتحمَّلِ الزهراءُ فُراقَهُ، ولِسانُ حالَها وهي تُخاطب من دفنَ رسولُ الله:

(بحرانـــي):

يـاللي تهيلـون الـتراب دِفنـوني ويّـــاه	مَقْدر أشـوفُ الـبيت خالي مـن مُحيّاه
صـعبة تـراه تصـير عيشـتنا بلـيّاه	بـعـدك يابويـه ماريـد هالـدّنيا الدنيّـه

ثم توجَّهت إلى قَبرِ أبيها باكيةً حزينةً وجَلَست عندَ قَبرِه، وأخذَت الترابَ العزيزَ الطاهرَ،تُقبِّلُهُ وتَشُمُّهُ، وهيَ تقولُ:

(نعي:)

مـاذا علـى مـن شـمَّ تُربـةَ أحمـدٍ	أن لا يَشـمَّ مـدى الزمـانِ غواليـا
قـلْ للمُغيَّـبِ تَحْـتَ أطبـاقِ الثـرى	إن كُنـتَ تسـمعُ صَـرختي ونِـدائيا
صُـبَّت علـيَّ مصـائبٌ لـو أنهـا	صُـبَّت علـى الأيـامِ عُـدْنَ لياليـا
قـد كُنـتُ ذاتَ حِمـى بظـلِّ محمـدٍ	لا أخشـى ضـيْماً وكـان حِمـاً ليـا
فـاليومَ أخشـعُ للـذليلِ وأتّقـي	ضـيمي وأدفـعُ ظـالمي بردائيـا
فـلا أجعلـنَّ الحُـزنَ بَعْـدَكَ مُؤنِسـي	ولا أجعلـنَّ الـدّمعَ فيـكَ وشـاحِيا

وكلما إشتاقت الزهراءُ إلى أبيها ماذا كانت تفعلُ وإلى أين تذهبُ:

اذا اشـتدَّ شـوقي زُرتُ قبـرَكَ باكيـاً	أنـــوحُ وأشـــكو لا أراكَ مُجـــاوبي
فيـا ساكنَ الروضـةِ علمتنـي البكـاء	وذِكْـرُكَ أنْسـانيَ جميـعَ المُصـائب
فـإن كنـتَ عنـي فـي التـرابِ مُغيَّبـاً	فمـا كنـتَ عـن قلبـي الحـينَ بغائِـبِ

نعم أخواتي هذا حالُ الزهراء عند فَقْدِ أبيها فما حالُ أمِّ المصائِبِ زينبَ فكيفَ وَصلت إلى قبرِ أخيها الحسين في كربلاء.

يُروى أنها وقفت عندَ قَبْرِ أخيها الحسين، وكان رأسُه الشريفِ معها تارةً تريدُ دَفنَهُ معَ الجَسد وأُخرى تريدُ أن تأخُذَهُ إلى جَدِّه:

(عاشوري:)

أنا راسك يخويه يخويه تحيرت بيه آه آه	ادفـــــــــن ولا اخاليـــــــــــه
ولا روح الجـــــــدك وراويـــــــه آه آه	

ثم توجهت إلى قبرِ جَدِّها رسولِ الله، ووقفت في ذات الموقِفِ الذي وقفت فيه أُمُّها الزهراءِ باكيةً نادبةً شاكيةً إلى رسولِ اللهِ، ماذا فعلوا بحبيبِه وسِبْطِهِ وحفيدِهِ الحُسين، نادت: وامحمّداه...

صـــلّى عليـــكَ مليـــكُ الســـما	هـــــذا حســـــينُكَ بـــــالعراء
عطشـــــانـاً فـــــي كـــــربلاء	مســـــلوبَ العمامـــــةِ والـــــردا
مقطـــــوعَ الـــــرأس مـــــن القفـــــا	

(تخميس:)

أفــاطمُ لــو خَلَــت الحســين مُجَــدَّلاً	وقــد مــاتَ عَطشــانا بــِشطّ فــرات
إذن للطمـــت الخـــد فـــاطم عنـــده	وأجريــت دمــع العــين فــي الوجنــات

يا الله نُقْسِمُ عليك بالحسينِ الوجيهِ وأُمِّهِ وأبيهِ وجَدِّهِ وأَخيهِ والتِسْعةِ المَعصومينَ من بنيه اغفر لأخواتي الحاضرات، وفرّج همّهن، ونفِّس غمَّهن، وسُدّ دَيْنَهن، وشافهم وشافِ مَرْضاهن، وإرحم موتاهن، وأحْسِن عاقبةَ أمرَهن، وأقضِ حوائجهن برحمتك يا أرحم الراحمين .